التطور العقيدي في المغرب الإسلامي
(من الفتح إلى نهاية القرن العاشر هجري).

د. مصطفى مغزاوي*

مقدمة: يُعتبر التاريخي المذهبي لدى المسلمين بابا- من أهم الأبواب- التي يجب تدارسها وتداركها والعناية بها تحقيقا و تصحيحا ونشرًا ، فالاطلاع على التاريخ المذهبي للأفراد و الأمم يُساعدنا - بلا شك - على فهم المواقف وتفسير الأحداث، ودراسةُ التاريخ المذهبي للمغرب الإسلامي يُجيبنا على الكثير من الإشكاليات التاريخية، لا سيما وأن جـُل الدول التي قامت في المغرب الإسلامي قامت على أساس ديني مذهبي.

فقبل الفتح الإسلامي للمنطقة غلب على معتقد البربر[1] الوثنية على حساب المسيحية واليهودية، وأثبتت الدراسات الأثرية أنهم كانوا يعبدون الأحجار والأشجار والجبال والكهوف والوديان والمغارات، ويـُقدسون الأموات ويشيدون لهم قبوراً ضخمة[2]، واتخذ بعضهم الشمس والكواكب آلهة [3]، واستمر الحال كذلك إلى وصول طلائع الفاتحين المسلمين منتصف القرن 2هـ/6م، فكان التحول العقيدي للبربر المغاربة من الوثنية والمسيحية واليهودية إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة التي حملها الصحابة والتابعون[4]، وسُرعان ما زالت معالم الوثنية في حين استمرَّت بعض الأقليات مـُحافظةً على المسيحية واليهودية، لكنها لم تعود تلعبُ أيَّ دورٍ في الصراع العقيدي بالمنطقة، وكان هذا التحول وليد سنوات من جِهاد الفاتحين وجُهود العلماء والخلفاء، فلم تستقر العقيدة الإسلامية في المغرب الإسلامي إلاّ مطلع القرن 2هـ /7م، فالتحق بذلك البربر بصفوف المسلمين حـُماةً لهذا الدين وأسهموا في تبليغه إلى الأندلس وصقلية، وبطـُلت عادة الارتداد التي تكرَّرت عندهم أكثر من اثنتي عشر مرة [5]، إلاّ أنهم- بعد ذلك- عرفوا تحولات مذهبية عقيدية وفقهية [6] خلال العصر

* - أستاذ محاضر ب في التاريخ الإسلامي- شعبة التاريخ- قسم العلوم الإنسانية-كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف. marzaoui@gmail.com

الإسلامي قبل أن يستقروا على ما هم عليه اليوم منذ الحكم العثماني، وفي أثناء تلك المسيرة (10 قرون) عرف المغرب الإسلامي أربع تحولات عقيدية كبرى.

فأولُ تحولٍ عقيدي عَرفهُ المغرب الإسلامي مَطلع القرن 2هـ/6م ، حيثُ تحولَ أهلُه من العقيدة السنية المأثورة على الصحابة والتابعين إلى مذاهبٍ دخيلةٍ وفدتْ إليه من المشرق، حيث تحول المغرب الأدنى من المذهب السني إلى عقيدة المعتزلة خلال حكم الأغالبة [7] حين اعتنق بعضُ وُلاّته المذهب تشبُهاً بمن اِعتنقَ المذهب من الخلفاء العباسيين مجاملةً لهم وتزلفاً إليهم، فعملوا على إقراره في المغرب الإسلامي تزامناً مع سعي العباسيين لإقراره في المشرق (218هـ/ 232 هـ)، فلم يتوانَ الأغالبة في شيء من ذلك، فكُتبت السجلات بخلق القرآن وأُمر بقراءتها على المنابر وحمل الناس عليها وتولىّ الأمير محمد بن أبي عقال تـ 223هـ /840م والأمير أحمد بن الأغلب تـ242هـ/ 856م امتحان العلماء والعوام والتنكيل بمن أظهر خلاف ذلك [8]، فتعرض كثيرٌ من علماء السنة للامتهان والتنكيل والتهجير، ومع ذلك فقد أظهروا شجاعة علمية وصبراً على الاضطهاد وثباتاً على الأمر [9] .

ونتج عن ذلك تعزُّز مذهب المعتزلة في المغرب الإسلامي، فاعتنقه عدد من الفقهاء والعوام [10]، وكان من أبعاد ذلك – أيضا – أن تهيّأت أرضية المغرب الإسلامي لاستقبال المدارس الكلامية والفلسفية التي لم يكن لهُ عهد بها [11]، فقد عُرف عن أهله سلامة الطوية وبساطة المُعتقد ومنافرة علم الكلام وأهله، ولكن الذي يبدوا أن الاعتزال مهَّد الأرضية لاستقبال مدارس كلامية أخرى كالمدرسة الأشعرية .

ومع ذلك لمْ يحظ هذا التحول بتجاوبٍ كبير من سكان المغرب الأدنى، لذا لم يرق هذا التحول إلى مستوى التحول الذي عرفه المغرب الأوسط في نفس الفترة.

فقد تحول المغرب الأوسط من المذهب السني إلى المذهب الخارجي الإباضي تحت حكم الدولة الرستمية، ولأنه أعدل مذاهب الخوارج وأقربها إلى معتقد أهل السنة فقد تزايد أنصارهُ وكثُر أتباعه وقامت لهم دولة وصَالت لهم جولة [12]، وما يُظهر ذلك ويدلُّ عليه قيام الدولة الرستمية على أساس المذهب الإباضي الخارجي في المغرب الأوسط، فانتشرت أفكارهم في الإمامة والحكم، كعدم اشتراط القرشية في الإمام، والثورة على أئمة الجور متى ظهر منهم ذلك [13]، والتزموا تعاليم المذهب وشرائعه في تعاملاتهم الداخلية والخارجية [14]، وناصبوا العداء للخلافة العباسية بالمشرق وحُلفائها بالمغرب[15] وأوثقوا صلاتهم

بإباضية المشرق، فكانت كتب فقهاء إباضية المشرق تصل إلى المغرب وتفد إليه باستمرار، و نبغ عددٌ منهم في المذهب، بل كان أئمة الدولة الرستمية فقهاء في المذهب لهم تصانيف وفتاوى على المذهب [16]، فأقاموا النظم الإباضية وشيدوا مكتبتهم الشهيرة باسم "المعصومة" [17]، فصار مذهبهم تياراً عقيديا له وزنه وتأثيرهُ في المغرب الإسلامي.

وإذا كان السبب في تحول المغرب الأدنى إلى المذهب المعتزلي هو الولاء للخلافة العباسية في المشرق فإن داعي تحوله إلى المذهب الخارجي في المغرب الأوسط هو العداء للخلافة في المشرق، وكرد فعل على بعض الممارسات التي كان يقترفها عمال الخلافة في المغرب الإسلامي [18]، بالإضافة إلى هجرة عدد من خوارج المشرق إلى المغرب طلباً للأمن وفراراً من تتبع الخلافة العباسية لهم.

فانغرس المذهب الخارجي بسرعة بين البربر، وألقى هذا التحول بظلالهِ على امتداد المغرب الإسلامي وترك آثارهُ حتى في الأندلس قلعة المذهب المالكي، وإن لم يكن لها من القوة ما يُظهرها بشكل واضح نتيجة لسيطرة العقيدة السنية المطلقة على الأندلسيين.

وفي إطار تحول القرن الثاني الهجري دائماً ظهرت بوادر تحول عقدي آخر في المغرب الأقصى من المذهب السني إلى المذهب الشيعي الزيدي الحسيني، وقد برزت معالم هذا التحول في قيام الدولة الإدريسية على أساس الولاء لآل البيت وحصر الخلافة في ذريتهم واعتبار أي خلافة قائمة اغتصابٌ لهذا الحق، وأنه لا تتمُّ ديانةٌ إلاّ بإمام، ويجبُ على كل مسلم أن يعرف إمام زمانه [19]، وكلها أبجديات جديدة أُدرجت في المفكرة العقيدية لأهل المغرب الإسلامي مباينة لسلامة معتقدهم وبساطته، بل أرجع بعض الباحثين الفضل للأدارسة في تعزيز وتعميق الولاء لآل البيت والمغالاة في حبهم، وبالتالي مهَّد ذلك لانتشار المذهب الشيعي الإسماعيلي وقيام الدولة الفاطمية فيما بعد، فرغم الاختلاف والعداء بين الدولتين إلا أن قيام الدولة الإدريسية على أساس الولاء لآل البيت مهَّدت ذهنية أهل المغرب لتقبُّل المذهب الشيعي الإسماعيلي المتطرف ودولته العبيدية فيما بعد، وذهب بعضهم إلى اعتبار دولة الأدارسة الحموديين الشيعية [20] في الأندلس امتداد فكري وعقيدي للدولة الإدريسية، وثمرة من ثمار الدعوات الشيعية السابقة لها في المغرب والأندلس [21].

ويذهب عدد من الباحثين إلى أن هذا التحول لم يكن ظاهراً جلياً ولا حتى ملموساً، بل إن بعض الباحثين لم يعتبره تحولا عقيديا، ذلك لأن المذهب الزيدي أقرب إلى المذهب السني،

وحِـرص الإمام إدريس الأول وخلفاؤه من بعده على التمسك بالمذهب المالكي طوعا دون ضغط من سكان المغرب تُبعد عنهم صفة التشيع، أما انتساب الإمام إدريس إلى آل البيت وخروجه عن سلطة العباسيين وكتابته إسم علي رضي الله تعالى عنه على أحد وجهيْ العملة الإدريسية، لا يعدو أن يكون اعتزازا بنسبه من جهة، وليعطي المبرر لقيام دولته من جهة أخرى، بالإضافة إلى أن المصادر تحفظ لنا نصاً يُعد بمثابة الدستور المؤسِس لنظام الحكم الذي ستكون عليه دولة آل البيت الأدارسة بالمغرب والموضِح لهويتها السياسية والفكرية، ولا يُفهم من ظاهره التشيع [22].

وسواءٌ كان تشيُّع الأدارسة عقيديًا أو سياسياً، فإنّه مثّل -ولاشك- مظهرًا من مظاهر التحول المذهبي العقيدي في المغرب الإسلامي الأقصى .

وعموما صارت الوضعية العامة في المغرب الإسلامي خلال القرن 2هـ/ 6م غير الوضعية التي كان عليها نهاية القرن الأول من وحدة فكرية وعقيدية وسياسية وجغرافية، فقد صار مجزأً إلى ثلاث دويلات متناقضة فكرياً ومستقلة سياسياً ومنفصلة جغرافياً، وما إن حلّ القرن الثالث الهجري حتى خيَّم على المغرب الإسلامي تحول عقيدي آخر يُعتبر أخطرَ مما سبقه من تحولات عقيدية، ذلك لِما كان له من أبعادٍ سياسية وجغرافية وعقيدية .

فالتحول العقيدي الثاني الذي عرفه المغرب الإسلامي سجله نهاية القرن الثاني ومطلع القرن الثالث الهجري، حيث خضع المغرب الإسلامي بأقطاره الثلاثة إلى سيطرة المذهب الشيعي الإسماعيلي[23] تحت إمرة الدولة الفاطمية، وكان مخاض التحول أشد، باعتباره مذهباً أكثر انحرافا وضلالا من كل المذاهب التي عرفها المغرب الإسلامي، وأسبابُ هذا التحول والمنعرج الكبير في التاريخ الفكري للمغرب الإسلامي يَرجعُ إلى سببين رئيسين يُشكلان في الغالب أسباب التحولات المذهبية في أي قُطر، أولهما قوة الدعوة وحُسن تخطيطها والصبر عليها، والثاني غيابُ قاعدة عقيدية مستقرة لمسلمي المغرب الإسلامي الذين ما إن استقرَّ الإسلام بينهم حتى عرفوا توالي الحركات المذهبية من المشرق والتي وجدت في المغرب ضالتها بعد فرارها من سطوة الخلافة في المشرق .

وقد ظهر هذا التحول جلياً في المغرب الإسلامي بفعل طول أمد الدولة الفاطمية وسعيها الحثيث لتعميم المذهب في جميع أقطار المغرب الإسلامي، واستطاعَ الفاطميون

القضاء على الدويلات الثلاث والإطاحة بمذاهبها، فقرر الفاطميون لعن الصحابة وتأليه الإمام ومحاربة السنة وإقامة البدعة[24].

وكان من نتائج هذا التحول تلك المجازر التي راح ضحيتها جموعٌ من أهل السنة في المغرب الإسلامي[25]، ويُثبت التاريخ أن التقتيل والتذبيح ميزة الحركات الباطنية ولاسيما الشيعية منها [26]، بالإضافة إلى ذلك تأسست في المغرب الإسلامي نواة شيعيَّة رافضيَّة من جهة، وباطنيَّة إلحاديَّة من جهةٍ أخرى، حيث سيعرف المغرب الإسلامي عدداً من الحركات الباطنية المشابهة بعد أن تعمَّق البربر في فهم رموز الشيعة الباطنية (الإمامة، الرجعة، العصمة، المهدوية) وتأثروا بها، و لعل في الحركات المتكررة التي قام بها مُدَّعو المهدوية ما يُلقي ضوءً على هذه الحقيقة، ففي الفترة التي أعقبت حكم الفاطميين انتشر بين البربر انتحال صفة المهدي المنتظر وفق المنظور الشيعي[27].

وبنهاية القرن 4 هـ/10 م تقهقر المعتقد الشيعي الإسماعيلي المتطرف، مُثبتاً حقيقة تاريخية أخرى هي أن المغرب لم يقبل التشيُّع، ولم يتشرَّب هذه العقيدة التي لم تكن إلا نقطة تحول مرَّ بها المغرب في مرحلة نُضجه الفكري والعقيدي.

أما التحول العقدي الثالث فقد تأخَّر إلى مُنتصف القرن الرابع الهجري عندما تحول المشهد العقيدي في المغرب الإسلامي برمَّتهِ إلى المذهب السني قمةً وقاعدة، بدايةً من العهد الزيري وجُهود المعز بن باديس [28]، وانتهاءً بالدولة المرابطية التي رسّمتهُ وقنّنتهُ وتكفَّلت برعايته وتقريرهِ والذودِ عنه [29].

فقد قامت الدولة المرابطية (448-542هـ/1056م- 1147م) وِفق منهجٍ عقيدي سُنِّي بثوبٍ سلفي على معتقد أهل الحديث[30] من السلف الصالح، وفي مقدمتهم إمام دار الهجرة مالك بن أنس ت179 هـ/795م، وقد برز ذلك من خلال مواقفهم- أمراء وفقهاء- من الصفات الإلاهية والغيبيات، والمسائل الكلامية والفلسفية، بالإضافة إلى مواقفهم من الإمامة والخلافة.

وقفَ المرابطون موقف الإمام مالك من الصفات الإلاهية بالإيمان بها كما جاءت "على مذهب أهل السنة والجماعة مُقلدين للجمهور من السلف رضي الله عنهم في الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل مع التنزيه عن الظاهر"[31]، متمثلين قول الإمام مالك "الاستواء معلوم والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة"[32]، فأثبتوها من

غير تشبيه ولا تمثيل، ونزّهوا من غير تأويل ولا تعطيل[33]، وهو ما اعتبرته الأقلام المُعادية للحركة المرابطية تجسيماً لذات الله تعالى وتشبيهاً له بخلقه[34]

وهذا الزعم الخالي من أي حجةٍ أو دليل، حلقةٌ من سلسلةٍ مشوهة اصطنعها الناقمون على الحركة المرابطية قديما وحديثا اعتمادا على كتابات تاريخية قديمة، دُونت زمن خصومهم التقليديين -الموحدين- حتى "ساد في أفهام الناس وتكرس لديهم من خلال هؤلاء المؤرخين أن المرابطين كانوا على عقيدة التجسيم والتشبيه، كما أن مجتمعهم كان من طبيعة أمومية تسيطر فيه المرأة على الرجل"[35].

ولم يستبعد الباحث عبد المجيد النجار في بحثه عن الوضع العقيدي في العصر المرابطي "نمو تيار تجسيمي بين البدو الذين لم يَحظوْا بثقافة دينية متينة"[36]، وهو في الواقع تخمين بعيد عن الحقيقة، إذ استدلّ الباحث بقول الرحالة ابن حوقل البغدادي النصيبي المتوفى أواخر القرن 4هـ/10م (قبل قيام الدولة المرابطية) في وصفه لأهل السوس إذ يقول: "والمالكيون من فظاظ الحشوية"[37].

ومما يُبرز تُمسك المرابطين بمنهج السلف تقهقر التيارات الشيعية والباطنية في دولتهم، فلم تسجل لنا المصادر المتقدمة والمتأخرة- رغم عداء بعضها للمرابطين- شيئاً من تقدم تللك التيارات العقيدية بالمغرب الإسلامي، فلا حديث- على المستوى الرسمي- عن مهدوية أو عصمة أو إمامة، فضُيّق على الطوائف المتشيعة وطُوردت في المغرب والأندلس[38].

وبالمقابل اعتبرت السلطة المرابطية بمعية الفقهاء المالكية محاربة التيار الشيعي جهادًا مؤكداً، فقد سار أمير المرابطين يوسف بن تاشفين تـ500 هـ/1106م إلى تارودنت قاعدة بلاد السوس وفتحها وكان بها طائفة من الشيعة البجليين نسبة إلى مؤسسها علي بن عبد الله البجلي، وقَتَلَ المرابطونُ أولئك الشيعة وتحول من بقي منهم على قيد الحياة إلى السنة[39].

واستمرَّ الحال على ذلك إلى أن نهاية القرن السادس الهجري حيث دبَّ الضعف السياسي في أركان الدولة المرابطية مُخلفا تقهقرا اجتماعيا وتراجعا علميا، وهو ما فتح الباب لمعارضي الدولة المرابطية سياسيا وعقيديا مُنذرا بتحولٍ عقيدي آخر في المنطقة.

فقد كان التحول العقيدي الرابع والأخير الذي شهده المغرب الإسلامي واستقرَّ عليه منتصفَ القرن السادس الهجري، حيث تحول المغرب الإسلامي من المذهب السني (مذهب أهل الحديث) إلى المذهب الأشعري الكلامي[40]، وذلك بثورة محمد ابن تومرت على الدولة المرابطية وجهود خلفائه من بعده في الدولة الموحدية [41].

وقد تحدث المؤرخ المغربي ناصر الدين السلاوي عن هذا التحول حاكياً عن أهل المغرب: "...وأما حالهم في الأصول والاعتقادات فبعد أن طهَّرهم الله تعالى من نزعة الخارجية أولا والرافضية ثانيا أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف رضي الله عنهم في الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل مع التنزيه عن الظاهر- وهو والله أحسن المذاهب وأسلمها -..."[42]واستمر الحال على ذلك مدة إلى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين في صدر المائة السادسة، فرحل إلى المشرق وأخذ عن علمائه مذهب أبي الحسن الأشعري ومتأخري أصحابه"[43].

إن الحديث عن نجاح العقيدة الأشعرية في المغرب الإسلامي هو حديث عن نجاح تلك الشخصية السياسية الدينية المغربية شخصية محمد بن تومرت الذي تتلمذ في المشرق على كبار أئمة الأشعرية [44]، إلاَّ أنَّ إقامته المشرقية جعلت عقيدته انتقائية من مذاهب إسلامية مختلفة ومتناقضة أحيانا، فنجد بينها آراءً أشعرية، إعتزالية[45]، وبجانبها أفكار شيعية[46] وخارجية[47] وحتى باطنية[48].

لكن يبقى أهم ما طبع معتقد ابن تومرت هو الصبغة الأشعرية في التوحيد[49]، لِحملهِ- أي بن تومرت- الآيات والأحاديث التي يُظنُّ أنها تُوهم التشبيه على التنزيه المطلق[50]، ومن جهةٍ أخرى لاعتباره أول من فتح الباب عُنوة في بلاد المغرب لدخول التأويل الكلامي[51]، وما كان قبله إنما هو من قبيل المحاولات الأولى التي لم تجد سنداً سياسيا ولا إقبالا علميا[52] .

ونسب العلامة ابن خلدون ابن تومرت إلى الأشعرية[53], وقبله يقول المؤرخ الموحدي عبد الواحد المركشي في شيئ من الثقة والحسم والقطع: "كان -ابن تومرت- على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل، إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها"[54].

وقد دافع السُبكي عن ابن تومرت ونفى كل التُهم المُوجهة إليه، ومن ذلك قوله في رد تهمة الاعتزال عنه بأنه " لم يصح عندنا ذلك، والأغلب أنه كان أشعرياً صحيح العقيدة أميرا عادلا داعيا إلى طريق الحق "[55].

بينما يرى المفكر المغربي عابد الجابري أنه من الخطأ اعتبار المذهب الأشعري هو مذهب الدولة الموحدية إذ كانت الدولة في الحقيقة ذات مذهب خاص، مذهب يعتمد على الكتاب والسنة مع انفتاح على الفلسفة والعلوم، ويستدلُّ الباحث بأن ابن رشد الفيلسوف الذي عاش في كنف الدولة الموحدية وفي بلاطها قد تصدى لنقد المذهب الأشعري بلهجةٍ حادةٍ أحيانًا[56] .

ولعلَّ إقامة ابن تومرت في المشرق وتنقله بين حواضره قد أكسبته ذهنية نقدية، مما جعله متحررا من الالتزام المذهبي الكامل الذي يتقيد فيه أتباع المذهب بكل قواعده وأصوله وأحكامه، فعندما نتمعَّنُ في آراء ابن تومرت في مختلف المسائل يتبيّن لنا أن هذه الآراء لا تقوم على وحدة مذهبية وإنما هي آخذة من مختلف المذاهب مستفيدة من شتى الأفهام العقدية والأصولية التي توصَّل إليها الفكر الإسلامي إلى أوائل القرن السادس الهجري، حيث اطَّلع على تلك المذاهب عن قرب في البيئة المشرقية ثم اقتبس منها ما رآه أقربَ إلى الحق من جهة، أو أنفع لتحقيق مشروعه الثوري من جهة أخرى، ولهذا كانت الصبغة الانتقائية واضحة في فكره ومذهبه .

وعمومًا عاد ابن تومرت بأشعريته إلى المغرب، وهو يمتلك نظرةً ويحمل قناعةً بأن الإسلام في المغرب لم يُفهم كما ينبغي، ورأى أن السلطة المرابطية التي تُمسك زمام السلطة في المغرب قد أغرقت أهله في التجسيم والضلال، كما رأى أنه من الضروري أن يُحدث انقلاباً في الوضع، وأن لا يدَّخرَ جهداً في سبيل ذلك[57] .

ولم يكن هدف ابن تومرت من هذه الآراء أن يقررها للناس في مؤلفات يتداولونها كما تُتداولُ سائر الكتب، بل كان هدفهُ أن يتحول محتواها عقيدة وأصولا وسياسة إلى واقع في حياة الناس تصورا وسلوكا، ولهذا الغرض اضطلع بالدعوة إليها والعمل على إنفاذها في حياة أهل المغرب في ثورة شاملة أسس هو أركانها ونهض باستكمالها أتباعُه من بعده[58].

لقد تكوَّنت لدى ابن تومرت قناعة بأنه لن تقوم للأشعرية قائمة بالمغرب ما دام بالمغرب سلطة قائمة تقف بالمرصاد للمذهب الأشعري، وأن جهودهُ الدعوية مهما كانت لن تُؤتي ثمارها[59].

ونجح ابن تومرت في إقامة دولته على أُسُس عقيدية بحتة، ولا يُمكن تفسير مجهوده الكبير في إقامة دولته تفسيراً سياسيا كما قد يُفهم، بل كان لها " رنين ديني" [60] فإن تسمية دولته بالموحدية وأنصاره بالموحدين تحمل دلالات ومعانٍ تؤكد الصبغة العقيدية لحركته ودولته، فلم ينسبها إليه وإنما أعطاها الصبغة العقيدية التي كانت لُحمتها وسَداها[61]، ويُمكن الجزم بأنه ما من دولة قامت في المغرب الإسلامي طيلة الحقبة الإسلامية إلا على أساس مذهبٍ ديني، بل لا يمكن التأريخ لكثير من هذه الدول دون البدأ بتسجيل الآراء الدينية أو الأفكار المذهبية لداعيةٍ أو فقيهٍ قامت الدولة على هديٍ من أقواله أو اجتهاداته، وكيف يُمكن التأريخ لدولة المرابطين دون ذكر الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي أو دولة الموحدين دون ذكرٍ للمهدي ابن تومرت[62] .

وإلى جانب المجهود السياسي، أسهمت جهود فقهاء المغرب الذين عادوا من المشرق بقواعد المذهب الأشعري في انتشار المذهب في المغرب الإسلامي وتعززه في المنطقة، كأبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي السرقسطي المراكشي الضرير (ت520هـ/1126م) المشهور بمنظومته العقيدية الأشعرية المسماة بـ"الإرشاد والتنبيه في علم الإعتقاد " [63]، و أبو بكر بن العربي الإشبيلي (ت 520هـ/1126م)[64] الذي تهجّم على فقهاء المرابطين واتهمهم بالعجز[65]، ووصفهم بأوصاف شنيعة، فجعلهم ممن كاد للإسلام، وأنه لا فهم لهم، وليس لهم قلوب يعقلون بها، ولا آذان يسمعون بها، فهم كالأنعام بل هم أضل، وعدّهم من الغافلين الجاهلين في موقفهم من الصفات[66].

إلا أن الدور السياسي في هذا التحول العقيدي كان أنفذ من الدور العلمي، حيث كان الأول حاسما، والثاني ثانويا فرعيا، ويصحُّ القول أن الأشعرية شقت طريقها إلى المغرب بالسيف والقلم، السيف الذي مثله محمد بن تومرت والقلم الذي مثله أبو بكر ابن العربي، والذي يبدوا لنا أن حد السيف كان أقوى وأمضى من مداد القلم [67] .

وعموما أقرَّت الدولة الموحدية المذهب الأشعري مذهبا رسميا وأعدت الفقهاء وشيَّدت المدارس وعبأت العامة فاستقر المذهب وانتشر وساد [68].

وقـدَّم لنا السلاوي (ت 1319هـ/1901م) نتيجة جهـود ابن تومرت ودولته في تقرير مذهبه، قائلا: "... إلى أن ظهر ابن تومرت مهدي الموحدين، فرحل إلى المشرق وأخـذ عـن علمائه مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ومتأخري أصحابه، ثم عاد ابن تومرت إلى المغـرب ودعا الناس إلى سلوك هذه الطريقة، وجزم بتضليل من خالفها، بل بـتكفيره، وسمَّـى أتباعـه بالموحدين تعريضاً بأنَّ من خالف طريقته ليس بموحد، ومن ذلك الوقت أقبل علمـاء المغـرب على اعتناق المذهب الأشعري وتقريره وتحريره درسا وتأليفا، وإن كان قـد ظهـر بـالمغرب فظهورًا ما"[69].

وسبقه في تقرير ذلك ابن خلدون تـ808هـ/1405م في أنَّ ابن تـومرت أخـذ بـرأي الأشاعرة "في تأويل المتشابه من الآي والحديث، بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخد برأيهم فيه، اقتداء بالسلف في ترك التأويل وإمرار المتشابهات كمـا جـاءت، فطعن على أهل المغرب في ذلك، وحملهم على القول بالتأويل، والأخذ بمـذاهب الأشـعرية في كافة العقائد وأعلن إمامتهم ووجوب تقليدهم" [70].

وقال الحسن الوزان (ليون الإفريقي) تـ873 هـ/ 1468م "والواقـع أنـه لا يوجـد في عصرنا غير مذهبين لهذه الديانة (الشريعة الإسلامية) أحدهما المذهب الأشعري المنتشر في كـل إفريقيا ومصر والشام والجزيرة العربية وتركيا كلـها، والثـاني مذهب الإماميـة المنتشـر في جميع بلاد فارس وبعض مدن خرسان "[71].

واستمرت الحالة العقدية في المغـرب الإسلامي بعد تفكك الدولة المـوحدية وانقسـام المغرب الإسلامي من جديد إلى ثلاث دويلات (المرينية في المغرب الأقصى، الحفصية في المغرب الأدنى، الزيانيـة في المغرب الأوسط) والتي أقرَّت المعتقـد الأشـعري [72]، واستمر الحال إلى أن جاء العثمانيون وتبنَّـوا العقيدتين الأشعرية والماتريدية كذلك [73]، وكان أن استقـرَّ المغاربة على المستوى الرسمي على معتقد الأشعري أصولا ومذهب مالك فروعـا وتصـوف الجنيـد سلوكا، وسعيهم الحثيث – متواصل – لإنزال ذلك إلى العامة متمثلين قول الفقيه المالكي عبد الواحد بن عاشر الفاسي (990-1040هـ/1583-1631م):

في عقد الأشعري وفقه مالك ❄❄❄ وفي طريقة الجنيد السالك[74].

لعل من أهم النتائج التي تستوقفنا أيضـاً هو ذلك الترابط التاريخي بين الجانبين السياسـي والعقيدي في تاريخ المغرب الإسلامي، إذ أنَّ الوحدة السياسـية للمغـرب مقرونـة بوحدتـه

الفكرية، حيث إن مرافقة تلك التحولات العقيدية تحولات سياسية يُعزز حقيقتين، أولهما أن الدول التي قامت على أرض المغرب الإسلامي قامت على أساس ديني، والدول تقوى بالدعوة الدينية وتزيدُ في أصل قوتها كما ذكر ابن خلدون[75]، والحقيقة الثانية أن وحدة المغرب الإسلامي السياسية تابعة لوحدته الفكرية والمذهبية، وهو تلازم تُقرره الحقائق التاريخية وتثبتهُ.

الإحالات والهوامش:

*- يُقصد بالبربر الجماعات التي أقامت منذ أحقاب في الشمال الإفريقي من برقة شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا، يُرجع ابن خلدون كلمة بربر إلى كثرة بربرهم، و البربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة، ويُرجعهم البعض الآخر إلى كلمة بربروس، وتعني الرافضين للحضارة الرومانية، بينما ينسبهم البعض الآخر إلى بربن بن قيس، وأصولهم من فلسطين وملكهم جالوت، فلما قتله نبي الله داود جلت البربر إلى المغرب، وانتشروا في أرجائه، أُنظر ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1401هـ/1981م، ج6، ص89، الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة 09، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413هـ/1992م، ج 18 ص428- 429.

2- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج 01، ص: 74 – 75 .

3- محمد بيومي مهران، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1410هـ/ 1990م، ص: 203 وما بعدها، ومبارك الميلي، المرجع السابق، ج 01، ص: 74 – 75 .

4 – ذكر صاحب الإستقصا أكثر من عشرين صحابيا دخلوا المغرب، أُنظر: السلاوي، الإستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري الطبعة01، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1418هـ / 1997 م، ج 01، ص: 141 – 144.

5 – نفسه، ص: 156 .

6- سنتطرق خلال هذا العرض إلى التحولات العقيدية (الأصول وما يرتبط بالعقائد والغيبيات) لِما لها من أهمية، أما فقهيا- الفروع- فقد تركز في المغرب الإسلامي المذهب الأوزاعي ثم الحنفي، كما تواجد المذهبين الشافعي والظاهري، لكن الغلبة والسيطرة كانت في النهاية للمذهب المالكي، انظر مثلا: نجم الدين الهنتاتي، تطور المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، دار تبر الزمان، تونس، 2004م، ص: 107 – 114 .

7- تسرَّب المذهب المعتزلي إلى المغرب قبل ذلك في زمن واصل بن عطاء الذي أرسل دعاته إلى المغرب، أُنظر: أحمد أمين، فجر الإسلام، الطبعة 10، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1969 م، ص 300. وقد استطاع هذا الداعية جمع الأنصار حوله مما جعل ياقوت الحموي يذكر أن "مجمع الواصلية (أصحاب واصل بن عطاء) كان قريبا من تاهرت وحان عددهم نحو الثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها" .أُنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، دون ت.ط ، ج : 02، ص: 7 ، 9 .

8- أُنظر أبو العرب المالكي، المحن، تحقيق ع. سليمان العقيلي، ط1، دار العلوم، السعودية، 1404هـ/1984م، ص449- 451

9- أُنظر مثلا: إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة، الطبعة 01، دار الرسالة، 1422/2002، ص:265 – 289 .

10- منهم ابن صخر المعتزلي (أُنظر: أبو بكر المالكي، رياض النفوس، تحقيق بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1403هـ، ج1،ص264)، ومنهم البهلول بن عمرو التجيبي (أُنظر: أبو العرب التميمي، طبقات علماء إفريقيا وتونس، تحقيق: علي الشابي، الدار التونسية، ط2، 1985م،ص157)، ومنهم: معد بن عقال (أبو بكر المالكي، المرجع السابق، ج1،ص477، والقاضي عياض، ترتيب المدارك، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، ط2، وزارة الأوقاف، المغرب، 1403هـ، ج2،ص511– 512).

11- المعروف عن أهل المغرب آنذاك البساطة في المعتقد ومنافرة علم الكلام وأهله، ولكن يبدوا أن الإعتزال مهد الأرضية لاستقبال مدارس كلامية أخرى كالمدرسة الأشعرية، قال السلاوي حاكيا عن معتقد أهل المغرب "مقلدين للجمهور من السلف

رضي الله عنهم في الإيمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل مع التنزيه عن الظاهر وهو والله أحسن المذاهب وأسلمها" ، السلاوي، المصدر السابق، ج:01، ص: 63 .

12- قامت دولة بني مدرار على المذهب الخارجي الصفري في سلجماسة في المغرب الأقصى لكنها كانت دولة صحراوية داخلية لم يكن لها تأثير عقيدي يـُذكر.

13- ولا أدل على ذلك من مبايعتهم لعبد الرحمان بن رستم و هو من الفرس.

14- محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 19985 / 1406هـ، ط 02، ص: 154 – 183.

15- من ذلك أنهم وطدوا علاقاتهم مع الأمويين في الأندلس.

16- أُنظر: عيسى الحريري، الدولة الرستميـــة بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها، دار القلم للنشر والتوزيع، البعة: 03، 1408هـــ/1987م، ص: 236 – 237 .

17- محمود إسماعيل المرجع السابق، ص: 292 – 300 .

18- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة 02، 1983 م، ج01، ص: 52، ابن خلدون المرجع السابق، ج06، ص: 108- 111 .

19- ومن أهم معتقداتهم أيضا جوزوا: خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال، ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة. أُنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا – علي حسن فاعور، الناشر، دار المعرفة الطبعة 03، 1414هـــ/1993م، ص: 42.

20- نسبة إلى خلفاء بني حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن علي بن أبي طالب، وقد امتد حكمهم على مدينة الجزيرة الخضراء وطنجة وسبتة وملقة. انظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، دار المعارف، ص: 43 – 44، ابن عذارى، المصدر السابق، ج 03، ص: 22. ومحمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة 02، 1411 هـــ/ 1990 م، ج 02، ص: 657 .

21- أُنظر: محمود مكي، التشيع في الأندلس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المجلد الثاني، العدد الثاني 1383 هـــ /1954 م، ص 162 .

22- نص نشره الأستاذ علال الفاسي رحمه الله تعالى في مجلة التضامن، بالعدد الثالث من السنة الأولى، سنة 1974/1393، ص: 15- 18.

23- من معتقداتهم أنه لن تخلو الأرض قط من إمام حي قائم: إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور. فإذا كان الإمام ظاهراً؛ جاز أن يكون حجته مستوراً. وإذا كان الإمام مستوراً؛ فلا بد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين، ومن مذهبهم: أن من مات ولم يعرف إمام زمانه: مات ميتة جاهلية. وكذلك من مات ولم يكن في عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية، وأشهر ألقابهم الباطنية؛ والقرامطة، والمزدكية؛ والملحدة. أُنظر: الشهرستاني، المصدر السابق، ج 01، ص: 56، وقد أخرجها ابن حزم من طوائف المسلمين، الفصل في الملل والأهواء والنحل تحقق: محمد إبراهيم نصر – عبد الرحمن عميرة الناشر: دار الجيل، ج 01 ، ص: 199 .

24 – هذا أشهر من أن ينكر في تاريخ بنو عبيد، أُنظر مثلا: القاضي عياض: المصدر السابق، ج3، ص 318. .

25 – فأول ما فعل المهدي بعد أن استتب له الأمر: (أنه أمر يوم الجمعة أن يذكر اسمه في الخطبة، و يُلقب بالمهدي أمير المؤمنين في جميع البلاد، فلما كان بعد صلاة الجمعة جلس رجل يعرف بالشريف ومعه الدعاة، وأحضروا الناس، ودعوهم إلى مذهبهم، وقتل من لم يوافق) أُنظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الطبعة 01، القاهرة، 1416هـــ/1996م، ج01، ص: .17

26- أنظر مجازر القرامطة الشيعة في المشرق، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق، أبي الفداء عبد الله القاضي، الطبعة 02، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415 هـ / 1995 م، ج 3 / ص 370 و462، و ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، بدون ت.ط، ج 11، ص 175.

27- من أدعياء المهدوية في الأندلس على سبيل المثال حركة أحمد بن معاوية القط الثائر 288 هـ، أنظر: محمود بن علي مكي، التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - الطبعة 01، 1424 هـ، ص: 12. وفي المغرب حركة المهدي محمد بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية، كما تذكر كتب المصادر طائفة الجبلييـن أو العكازييـن بمنطقة السوس في المغـرب الأقصى التي قامت على أسـاس الفكـر الشيعي والمهدي المنتظر. أنظر: عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت: حياته أراؤه وثورته الفكرية والإجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، 1403هـ/ 1983م، ص: 417 – 418 .

28- السلاوي، المصدر السابق، ج01، ص: 194.

29- أنظر: محمد بن عبد العزيز الدباغ، دور المرابطين في توحيد المغرب وإقرار الدعوة السلفية، مجلة دعوة الحق، العدد 07، السنة الثانية عشر، جوان 1969م، المغرب، ص: 227 – 228 .

30- يُعرِّف الشهرستاني أهل الحديث بقوله: "هم أصحاب مالك بن أنس، وأصحاب محمد بن إدريس الشافعي، وأصحاب سفيان الثوري، وأصحاب أحمد بن حنبل، وأصحاب داود بن علي بن محمد الأصفهاني، وإنما سُموا بأصحاب الحديث لأن عنايتهم بتحصيل الأحاديث ونقل الأخبار وبناء الأحكام على النصوص ولا يرجعون إلى القياس الجلي والخفي ما وجدوا خبرا أو أثرا ". الشهرستاني، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، سوريا، د.ت.ط، ج:2، ص:.11

31- السلاوي، المصدر السابق، ج:1، ص:196 .

32- الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الطبعة 01، دار ابن عفان، السعودية، 1412هـ/ 1992م، ص: 173. وشمس الدين الذهبي، العرش، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الطبعة 02، نشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1424هـ/2003م، ج:1، ص: .189

33- الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الطبعة 02، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1368هـ / 1948 م، ج: 2، ص: 422. والذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة 03، مؤسسة الرسالة، 1405 هـ / 1985م، ج: 19، ص: 550 .

34- ذكر البيذق مناسبة هذه التسمية، في كتابه : أخبار المهدي، فقال إن المهدي أطلقها على المرابطين أثناء غزوته التاسعة إلى "سدرم ان الغز": "... فقال (المهدي) للموحدين: ما يقولون؟ (أي المرابطين)، قالوا له لقبونا، قال وكيف ؟ قالوا: يقولون خوارج، قال سبقونا بالقبيح، لوكان خيرا أحجموا عنه وما سبقونا إليه، لقبوهم أنتم فإن الله ذكر في كتابه " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم"، قولوا لهم أنتم أيضا: المجسمون، ففعلنا"، أنظر: البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1396هـ/1975م، ص: 71. وابن القطان المراكشي، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1409هـ/ 1989م، ص: 131-132 . البيذق ص: 37 و 77 .

35- حسين مؤنس، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين، صحيفة المعهد المصري، المجلد 2، العددين: 1و2، ص:.56

36- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت حياته أراؤه وثورته الفكرية والإجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ/ 1983م، ص: .57

37- ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1412هـ/ 1992م، ص: 90 .

38- الفضل في قهينة البينة السنية للمرابطين هو جهود الدولتين الزيرية في المغرب والأموية في الأندلس التي طاردت التشيُّع وضيقت عليه، أنظر: إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، دار الرسالة، الجزائر، 1422هـ/ 2002 م، ص: 436-439 .

39- السلاوي، المصدر السابق، ج:2، ص:14. وعبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة 02، 1411هـ/1990م، ج:2، ص:305. وعباس سعدون نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، الطبعة 01، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م، ص:.39

40- ابن خلدون، المرجع السابق، ج: 6، ص: 300. السلاوي، المصدر السابق، ج: 1، ص: 63 .

41- أنظر تفصيل ذلك: عبد المجيد النجار، المرجع السابق، 400 - 473، وأنظر: مصطفى مغزاوي، دور العامل السياسي في انتشار المذهب الأشعري، رسالة مجستير، معهد التاريخ بجامعة الجزائر، 2008 م، ص :38 - 48 .

42- السلاوي، المصدر السابق، ج: 1، ص: 63، وأردف ذلك بأبيات للشيخ سيدي باب الشنقيطي رحمه الله تعالى، نقلها عنه تلميذه الشيخ محمد ابن أبي مدين في كتابه: شَنُّ الغَارَات على أهلِ وحدَةِ الوجُودِ وأهلِ المعيَّةِ بالذَّات-لايزال مخطوطاً- تعكس استحسان مالكية المغرب في عصره عقيدة السلف في الأسماء والصفات.

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته **** ولا ذاته شيء عقيدة صائب.

سلم آيات الصفات بأسرها **** وأخبارها للظاهر المتقارب.

ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا **** وتأويلنا فعل اللبيب المراقب.

ونركب للتسليم سفناً فإنها **** لتسليم دين المرء خير المراكب.

43- السلاوي، المصدر السابق، ج: 1، ص: 63 .

44- تتلمذ ابن تومرت على أيدي شيوخ كبار أمثال القاضي عياض المالكي تـ544هـ/1149م الذي قرأ عليه في قرطبة، والإمام المازري تـ 536هـ/1141م الذي أخذ عنه في المهدية قبل أن ينتقل إلى بغداد ليلتقي بكوكبة أخرى من الفقهاء أمثال أبي حامد الغزالي تـ505هـ/ 1111م والكيا الهراسي تـ567هـ/1171م وأبي بكر الطرطوشي تـ521هـ/1126م وأبي بكر الشاشي تـ528هـ/1133م الذي أخذ عليه شيئا من الأصول، وفي المشرق سكن النظامية ببغداد أين التقى بأئمة الأشعرية وكبار علمائها وفحول نظارها، واشتغل بالعلم وتبحر في علم الكلام، وعاد إلى المغرب لينشر العلم الذي جاء به من المشرق، أنظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5،ص46. والصفدي، المصدر السابق، ص482. والمراكشي، المعجب، ص178. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5،ص132. وابن خلدون، تاريخ بن خلدون، ج6،ص300، وابن كثير، المصدر السابق، ج12،ص186، الذهبي، العبر في خبر من غبر، ص246،247. والسبكي، المصدر السابق، ج06، ص219. وابن أبي زرع، روض القرطاس، ص172.

45- تحدث ابن تيمية عن ذلك في بعض كتبه أنظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم، الطبعة 02، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الرياض، السعودية، 1411 هـ / 1991 م، ج:3، ص: 438. وشرح العقيدة الأصفهانية، تحقيق: إبراهيم سعيداي، الطبعة 01، مكتبة الرشد، الرياض، 1415هـ/ 1994 م، ج:1، ص: 41. وبيان تلبيس الجهمية، ج: 1، ص: 470، مجموع الفتاوى، ج: 6، ص: 617 .

46- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج: 6، ص: 300 .

47- قال ابن الخطيب في رقم الحلل في نظم الدول: " له باع في علم الكلام، وغلبت عليه نزعة خارجية "، ابن الخطيب، رقم الحلل، ص: 57 .

48- يعكس تأثر بن تومرت بالفرق الباطنية بالمشرق في اعتماده على كتاب الجفر المكذوب، والمعلوم أن الباطنية تهتم اهتماماً كبيراً بهذه الطلاسم والخزعبلات. أنظر: السلاوي، المصدر السابق، ج: 01، ص: 81. و بن ابي زرع، المصدر السابق، ص: 180. وابن تيمية، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحقيق موسى سليمان الدويش، الطبعة 01، مكتبة العلوم والحكم، 1408، ص: 321. وأنظر تفاصيل أكثر في المبحث السابق.

49- أنظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج:6، ص:302. ومحمود صبحي، في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين، المعتزلة والأشاعرة، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1406 هـ / 1987م، ص: 671 . وعبد الله كنون، النبوغ المغربي، ص: 102 .

50- عبد المجيد النجار، ابن تومرت، ص: 430 .

51- الصلابي محمد علي، الدولة الموحدية، دار البيارق، الأردن، الطبعة01، 1419 هـ / 1998م، ص: 4. واعتبر سلطة بن تومرت السبب في انحسار مذهب أهل السنة، وفشوا مذاهب المتكلمين.

52- عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ص: 121 .

53- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج:6، ص:302

54- المراكشي، المصدر السابق، ص188. ويبدو أنّ ابن تومرت قد استعار عبارة التوحيد تلك من المعتزلة فهم الذين يعطون اسم التوحيد في تعريفهم لفكرة الله، يقول الشهرستاني عن المعتزلة: "واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار، ونفي التشبيه عنه من كل وجه، جهة ومكانا وصورة، وجسما وتحيزا وانتقالا وزوالا وتغيرا و تأثرا، وسموا هذا النمط توحيدا". ص209.

55- السبكي، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ج: 8، ص: 185.

56- محمد عابد الجابري مقدمة كتاب: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة 01، بيروت، لبنان، 1998م، ص: 45 .

57- وعند عبد الله كنون أن بن تومرت كانت تراوده فكرة الثورة على الواقع المغربي قبل رحلته إلى المشرق. أُنظر: عبد الله كنون: المرجع السابق، ص: 99 .

58- عبد المجيد النجار، ابن تومرت، ص: 145 و177.

59- مغزاوي مصطفى، المرجع السابق، ص:.36

60- أُنظر مقدمة كتاب: لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، أبي الحجاج يوسف بن محمد المكلاتي، تحقيق وتقديم: فوقية حسين محمود، الطبعة 01، دار الأنصار، القاهرة، مصر، 1977م، ص: .31

61- انظر: عبد المجيد النجار، ابن تومرت، ص: 401. وعز الدين موسى، الموحدون في المغرب الإسلامي، ص: 86. وأيضا ألفرد بل، المرجع السابق، ص: 249. ويوسف احنانا، تطور المذهب الأشعري، ص: 80 ،81 .

62- أُنظر: محمود صبحي، في علم الكلام، ص: 641، ومحمد رينر، حول بعض الوقائع الموحدية، مجلة البحث العلمي، يناير – إبريل 1967م / شوال – محرم 1387هـ، ص: 47 .

63- يوسف احنانا، تطور المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1424 هـ/ 2003 م، ص: 83 .

64- الإمام العالم القاضي محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المُكنى بأبي بكر بن العربي المعافري، قاضي قضاة كورة إشبيلية، كان مولده ليلة يوم الخميس لثمان بقين من شعبان 468هـ / 1075 م رحل إلى المشرق مع أبيه مستهل ربيع الأول سنة 485هـ / 1092 م، ودخل الشام والعراق وبغداد، وسمع بها من كبار العلماء، ثم حج في 489هـ / 1096 م، وعاد إلى بغداد، ثم خرج إلى دمشق سنة 491 هـ/ 1098 م، ثم عاد إلى الأندلس 493هـ/ 1100 م مرورا بمصر، وقدم إشبيلية بعلم كثير، وكان موصوفاً بالفضل والكمال، وولي القضاء بإشبيلية، ثم صُرف عنه، توفي بمغيلة بمقربة من مدينة فاس، ودفن بها في ربيع الآخر سنة 543هـ / 1148 م. أُنظر عنه مثلا: المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1388هـ / 1968 م، ج : 2، ص: 26، 43 . وابن أبي بكر القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1416 هـ / 1995م، ص: 192 .

65- أُنظر: يوسف احنانا، المرجع السابق، ص: 101. و عن أشعريته يُنظر أيضًا: عمار طالبي، آراء بن العربي الكلامية و نقده للفلسفة اليونانية، الطبعة 02، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981م

66- أُنظر: أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص282-288. وخالد كبير علال، الأزمة العقيدية، دار الإمام مالك، البليدة، الجزائر، 1426 هـ / 2005 م، ص: 39، 43، 44 .

67- أُنظر: مصطفى مغزاوي: المرجع السابق، ص: 89 .

68- التهامي إبراهيم، الأشعرية في المغرب وموقف العلماء منها، مجلة المواقف، العدد 04، محرم 1416 هـ / جوان 1995 م، المعهد الوطني لأصول الدين – الخروبة، الجزائر، ص: 25 .

69- السلاوي، المصدر السابق، ج: 1، ص: 63.

70- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج: 6، ص: 300 .

71- الحسن بن محمد الوزان (ليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ص: 273. ومع ذلك يُـــلاحظ بوضوح المبالغة في كلامه، إلا أن الأشاعرة كانوا يتمعون بسلطات سياسية واسعة في تلك المناطق.

72- أُنظر حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشد- مصر، 2004 م، ص210، إبراهيم حركات، الحياة الدينية في عهد بني مرين، مجلة دعوة الحق، السنة السابعة- العدد 02، ص07-11، والحسن السايح، الفكر المغربي في عصر بني مرين، مجلة دعوة الحق، السنة السادسة- ع8، ص35-42. وأبي أويس محمد بوخبزة الحسني، حوار هادئ مع الأستاذ عبد السلام ياسين، مجلة الصوفية، العدد 07، صفر 1429هـ - فيفري 2008م، ص: 04 - 05.

73- انظر مثلا: عبد العزيز سليمان، الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ص: 124. وليس ثمة اختلاف كبير بين المذهبين الأشعري والماتردي، أُنظر: غالب عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، 1422هـ/ 2001 م، ص: 1231 - 1232.

74- منظومته المعروفة "بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين"، ألفها للتلاميذ المبتدئين لتعلم المبادئ الأولى في العقيدة والفقه والأخلاق، وهي مبدوءة بقول الناظم:

يقـــول عبد الواحد ابن عاشـــر مبتدأ باسم الإله القـــادر

الحمـــد لله الـــذي عـــلمـــنـــا من العلوم ما بـــه كلفنـــا

وبعد فالعـــون مـــن الله المجيـــد في نظم أبيات للأمي تفيد.أُنظر ابن عاشر، الدر الثمين والمورد المعين، شرح محمد بن احمد بن احمد المالكي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأبنائه، 1373هـ 1954م، ص: 04 - 12 .

75- ابن خلدون، المقدمة، منشورات دار الهلال، بيروت، لبنان، 2000م، ص: 110.